

بعد سنوات "باكس أمريكانا" .. هل فقدت أمريكا السيطرة في المحيط الهادي؟



كان شرق وجنوب آسيا أكثر عرضة للحروب والنزاعات حول قضايا السيادة من أي منطقة أخرى في العالم منذ الحرب العالمية الثانية، وكانت الصراعات بين الهند وباكستان والصين والهند متكررة منذ ستينات القرن الماضي.

ولم تكن البلدان الشيوعية في شرق آسيا محصنة ضد قتال بعضها البعض، فقد اشتبكت روسيا السوفيتية والصين في نزاعات حدودية، كما وقعت الفيتنام والصين في نزاع مشابه.

ولم تكن الولايات المتحدة بعيدة عن المشهد، لكنها تخلصت بشكل عام من المصادمات الحية بين الجيران الآسيويين، بيد أن النزاع العالق بين اليابان والصين حول جزر سينكاكو ستصبح الولايات المتحدة متورطة فيه حتماً إذا احتدم الخلاف بينهما.

وسواء تجددت مخاوف اليابان من أن تحل الصين محلها كأكبر شريك أمريكي في آسيا، أو أعاد ترامب نفور وزير الخارجية الأمريكي الأسبق هنري كيسنجر من دبلوماسيات طوكيو، فإن العلاقات المتشابكة للدول الثلاث تبعث على التساؤل حول مستقبل شرق آسيا وقدرة السلطة الأمريكية على الصمود والاحتفاظ بأرضها في آسيا.



هنري كيسنجر (يسار)، وزهو إنلاي (وسط) وماو تسي تونغ (يمين) يتحدثان في بكين في أوائل السبعينيات

أعقد مثلثات الحب والكرهية في العالم

عمدًا أو غير ذلك، فإن الولايات المتحدة واليابان والصين -القوى الكبرى الحالية في آسيا- تجرب أسلحتها في وقت واحد على بعضها البعض، إذ حاول الجميع الاستفادة من علاقاتهم من طرف على حساب الآخر لكسب الهيمنة الدبلوماسية الإقليمية في القرن الماضي، حتى شعر كل منهم في أوقات مختلفة بخيانة الآخرين له.

وينظر معظم الأمريكيين إلى علاقات بلادهم مع هذين البلدين بطريقة مبسطة إلى حد ما، فقد كانت اليابان حليفًا في الحرب الباردة، وكانت الصين خصمًا مريئًا حتى قام ريتشارد نيكسون الرئيس الأمريكي الأسبق ووزير الخارجية هنري كيسنجر بتجميد العلاقات معها في السبعينيات، ومنذ ذلك الحين، تباينت العلاقات الأمريكية مع الصين بين العداء والفتور، لكن الواقع أكثر تعقيدًا بكثير في العلاقات المتشابكة مع كلا البلدين.

بعيدًا عن إثارة ذكريات الحرب الوحشية التي نشبت بين الصين واليابان، فإن الدولتين تقعان في دوامة من انعدام الثقة وسوء الإرادة

كيسنجر وجد عمومًا أن الصينيين أسهل بكثير في التعامل، فقد كان تقلب المزاج السياسي الجامح لليابان من المحافظين المتشدديين إلى الاشتراكيين أصعب بكثير على الرؤساء الأميركيين من ريتشارد نيكسون إلى باراك أوباما، ومن ناحية أخرى، بدت الصين في مرحلة ما بعد الثورة الثقافية أكثر استقرارًا.

وفي تتبع للعلاقات الصينية اليابانية منذ القرن التاسع عشر، لم تنظر أي من الدولتين إلى الأخرى على أنها شريك أو منافس، بل ينظر كلاهما إلى العلاقة باعتبارها مكسبًا صقريًا، ويستمران في القيام بذلك.

وبعيداً عن إثارة ذكريات الحرب الوحشية التي نشبت بين الصين واليابان، والتي بدأت في أوائل ثلاثينيات القرن الماضي واستمرت لأكثر من عقد من الزمن، فإن الدولتين تقعان في دوامة من انعدام الثقة وسوء الإرادة، ورغم أن الرجال والنساء ذوي النية الحسنة في كلا البلدين كرسوا حياتهم المهنية لتحسين العلاقات، إلا أن معظم هذه الجهود لم تفلح.



"باكس أمريكانا" .. السلام السام برعاية أمريكية

يمكن اعتبار التحول الذي حدث في اليابان أنه محاولة السيطرة على العالم خلال عقدين من الزمن، وهذا التحول يشبه في التاريخ الحديث الارتفاع السريع للصين، وهي البلد التي أصبح جيشها الآن أكبر من جيوش اليابان وكوريا الجنوبية وتايوان وجنوب شرق آسيا مجتمعة.

وتعتبر الصين واليابان عملاقين آسيويين قد استهلكوا نتيجة لحروب تاريخية لا نهاية لها وتحكمهما سلالات سياسية راسخة، ومن الصعب في العقد الثاني من هذا القرن أن نتذكر أن اليابان في السنوات الأخيرة من الحرب الباردة كان يُنظر إليها على أنها عملاق اقتصادي قادر بشكل حرفي على شراء وبيع أمريكا المتدهورة اقتصاديًا.

من وجهة نظر أمريكية، فإن الأمر ليس سيئاً إذا حاولت كلتا الدولتين كسب ود أمريكا في نزاعاتهم المختلفة

نتيجة لذلك، زادت الشقوق الجغرافية السياسية اتساعاً في المنطقة التي ازدهرت تحت المظلة الأمنية الأمريكية لأكثر من نصف قرن، وبات التنافس بين الصين واليابان يهدد السلام الذي تحقق في فترة "باكس أمريكانا" منذ الحرب العالمية الثانية، وهو مصطلح ينطبق على مفهوم سيادة السلام والاستقرار في ظل إمبراطورية أمريكية.

وخلال الانتخابات الأمريكية الأخيرة، لم يتوان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب عن مهاجمة كل من الصين واليابان، وذلك ما يُشعر كلتا الدولتين بعدم الأمان حيال المسافة الذي تقف فيها الولايات المتحدة من الدولتين.

ومن وجهة نظر أمريكية، فإن الأمر ليس سيئاً إذا حاولت كلتا الدولتين كسب ود أمريكا في نزاعاتهم المختلفة، لكنه معقد إلى حد كبير بالنسبة للدبلوماسيين الأميركيين والمفاوضين التجاريين الذين يحاولون التعامل مع القضايا الإقليمية، فحقوق النفط وحرية الملاحة هي قضايا اقتصادية ضخمة في شرق آسيا.



مصير السلطة الأمريكية في المحيط الهادي

في وقت يشهد حالة غير مسبوقة من عدم اليقين في واحدة من نقاط التوتر الجيوسياسي في العالم، تشارك الدول الثلاث مركزياً في المواجهة النووية في شبه الجزيرة الكورية.

وحين أطلق الكوريون الشماليون صاروخين على اليابان في الأشهر الأخيرة، أرادت طوكيو تأكيدات بأن دعم واشنطن ليس مهدداً من سياسات "أمريكا أولاً" التي وضعها دونالد ترامب، لكن مستجدات غير متوقعة في علاقات أمريكا وكوريا الشمالية طرأت على موقف أمريكا عند الحديث على لقاء مرتقب بين ترامب ونظيره الكوري الشمالي كيم جونج أون.

ويقول دبلوماسيون إنه بعد أن استضاف دونالد ترامب رئيس الوزراء الياباني شينزو آبي في نادي مار أيه لاغو بولاية فلوريدا في نوفمبر/تشرين الثاني من العام الماضي، ولعبا معاً مباراة جولف باستخدام عصا ذهبية بقيمة 3200 يورو من قدمها آبي، اقترب دبلوماسيون كبار من طوكيو من نظرائهم في وزارة الخارجية الأمريكية وطلبوا أن يضمنوا ألا يكون ترامب كريماً مع الصين، لأنهم سيستغلون كرمه .
وإذا ما وضعنا لعبة الجولف والبيسبول جانباً، فإن ما يظهر -على الرغم من العلاقة الوثيقة بين واشنطن

وطوكيو منذ الحرب- فقد كانت العلاقة صعوداً ونزولاً ونادراً ما تكون مباشرة، في حين أن الولايات المتحدة والصين لديهما صلة أكثر مباشرة، على الرغم من خصومها الأيديولوجيين الشرسين، ولديها أيضا حجر عثرة كبير على تايوان، الجزيرة التي حكمت نفسها والتي تعهدت الولايات المتحدة بالدفاع عنها في حال حاولت الصين استردادها بالقوة.

من المتوقع أن يواجه شرق آسيا مرحلة جديدة من الصراعات وحالة عدم استقرار نتيجة لازدراء دونالد ترامب لتحالفات أمريكا القديمة والطموحات الإقليمية للصين

في الوقت نفسه، تبني الصين أسطولها بحرية في مياه المحيط الزرقاء لدعم مطالبها الإقليمية في المنطقة، وليست طوكيو وبكين في الوقت الراهن في أعناق بعضهما البعض، ولكن علاقتهما هي واحدة من أكثر العلاقات تقلباً في المنطقة، والحزب الشيوعي الصيني ليس بطيئاً في تأجيج نيران القومية المعادية لليابانيين.

وإذا كانت الولايات المتحدة قد وضعت الأسس لمرحلة ما بعد الحرب لآسيا الحديثة، فإن مسار المواجهة الذي وضعته الصين واليابان ليس بعيد الصلة عن جيرانهما، فالولايات المتحدة ستشارك إلى جانب اليابان في حالة حدوث أي صراع عسكري بين البلدين.

ومن المتوقع أن يواجه شرق آسيا مرحلة جديدة من الصراعات وحالة عدم استقرار نتيجة لازدراء دونالد ترامب لتحالفات أمريكا القديمة والطموحات الإقليمية للصين.

كانت إحدى اللحظات الحاسمة في العلاقات الصينية اليابانية في قمة منتدى التعاون الاقتصادي لدول آسيا والمحيط الهادئ لقادة دول المحيط الهادي في عام 2014، وقد اجتمع آبي وشي، وهو أول اجتماع من نوعه بين البلدين منذ عامين ونصف.

يمد آبي ويخاطب شي، لكنه ينسحب قليلاً، ويبحث عن الذهول من قلة الدفء. مصافحة شي، الطريقة غير الواضحة التي يتجاهل بها الرئيس الصيني ثم ينفصل عنها، تأتي كعمل عدواني.

كانت الشبكة العنكبوتية الأمريكية لشركات المحيط الهادئ أنجح جزء في استراتيجيتها الكبرى لمرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية

بالنظر إلى أن آسيا لم تعترف أبداً بمآسي الحرب كما كان الحال في أوروبا، يستمر التاريخ في تلوين العلاقة حتى بعد مرور ستة عقود، ويصف مكجريجور بجلاء التبادل بين باراك أوباما وأبيه حولهما. "حروب التاريخ"، حيث طلب الرئيس الأمريكي آنذاك من آبي مباشرة وقف الخلافات مثل الزيارات إلى ضريح ياسوكوني، الذي يكرم مجرمي الحرب إلى جانب قتلى الحرب.

"ربما كان ما تلا ذلك هو التبادل الأكثر حدة بين الزعيم الأمريكي والزعيم الياباني حول حروب التاريخ المتقلبة. لقد أخبر رئيس الوزراء أن هناك دولة واحدة فقط استفادت من الخلافات التي لا تنتهي، وهي الصين. وتشير المؤشرات إلى أن هذا الصراع سيكون كارثياً اقتصادياً ليس فقط لتلك الدول الثلاث، بل للعالم أيضاً.

تكشفت الأزمة الحالية مع كوريا الشمالية التي تعقد الحياة للصين واليابان وكذلك الولايات المتحدة. وقد كانت الشبكة العنكبوتية الأمريكية لشركات المحيط الهادئ أنجح جزء في استراتيجيتها الكبرى لمرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية. وقد أثبت أنها حليف يعول عليه في إقامة شراكات ثنائية مع الدول التي تكره بعضها البعض بشكل مكثف.